مجلة دراسات القدس الإسلامية (شتاء 1999م)، 1:3، 17-30

العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في القدس خلال الفتح الإسلامي الأول

الأستاذ الدكتور/ شفيق جاسر أحمد محمود

رئيس قسم التاريخ - جامعة الزرقاء الأهلية: الأردن

موقف الإسلام والمسلمين من المسيحيين

العلاقات بين البشر أفراداً وجماعات ما هي الا ممارسات سلوكية ناتجة عن فلسفات معينة قائمة على عقيدة يؤمن بها أتباعها فتؤثر في تربيتهم وعلى سلوكهم. وسلوك المسلمين يقوم على الفلسفة والعقيدة والتربية الإسلامية التي عمادها الدين الإسلامي الحنيف المُنزل من السماء للناس كافة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1] ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2]. لذلك رأينا المسلمين وخاصة الأولين منهم يعاملون جميع الناس معاملة متماثلة ولم يشذ عن ذلك إلا القليل ممن لا يقاس عليهم.

وقد نص الإسلام على ضرورة حسن معاملة أهل الذمة وخاصة النصارى منهم، حيث ورد في القرآن الكريم استنكار لقتل نصارى نجران الذين سماهم المؤمنين على يد سيف بن ذي يزن اليهودي ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ۞النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ۞إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ۞وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ۞وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[3]. كما شهد الرسولﷺ للنجاشي - ملك الحبشة المسيحي - بالعدل، وطلب من أصحابه الهجرة إليه لأنه لا يظلم أحد عنده. وصلى عليه عندما علم بموته. وقيل أن الرسولﷺ التقى في شبابه بالراهب بحيرة وهو في طريقه للتجارة في الشام، كما أن قومه من أهل مكة كانوا على صلة دائمة مع النصارى من عرب وغيرهم في الشام ومصر. وقد أوصى الرسولﷺ بأهل مصر خيراً فقال: "استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً"[4]. وأكد على ضرورة العدل مع أهل الذمة "من ظلم

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا خصيمه يوم القيامة"[5]. وقال: "من قتل ذمياً فلن يشم رائحة الجنة"[6]. واتبع الخلفاء الراشدون سنة نبيهم، فنرى أبا بكر الصديق يوصي الجيوش الإسلامية المتوجهة نحو الشام بقيادة أسامة بن زيد بما اعتبر أساساً لأخلاق الحرب عند المسلمين، فيقول: "لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بعيراً إلا لمأكله وسوف تمرون بأقوام حبسوا أنفسهم في صوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له...". كما رأينا عمر بن الخطاب الخليفة الثاني يوصي بأهل الذمة قائلاً: "اوصي الخليفة بعدي بأهل الذمة خيراً وأن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفهم فوق طاقتهم"[7] ونراه، وهو عائد من فتح القدس، مر على قوم قد أقيموا في الشمس يعذبون بسبب الجزية. فكره ذلك عمر، وقال "هم وما يفتدون به"، قالوا: "يقولون لا نجد"، قال: "فدعوهم ولا تكلفوهم ما لا يطيقون..."، وأمر بإخلاء سبيلهم[8].

ولا شك أن العقيدة الإسلامية كانت هي العامل الأول والأهم في انتصارات المسلمين وفتوحاتهم السريعة، وان المسيحيين قاوموا الفتح الإسلامي إلى جانب الروم مقاومة شديدة، حيث قتل قائد بصرى رسول رسول الله[9]. وشارك المسيحيون العرب بفعالية إلى جانب الروم في مؤته مما عرض المسلمين لخطر الإبادة سنة 8هـ، كما حاربوا بقيادة جلبة بن الأيهم الغساني إلى جانب الروم في اليرموك، وشارك معهم آخرون من بهراء وكلب وسليم وتنوخ ولخم وجذام[10]، وتجسسوا لصالحهم. وبلغ ببعض الغساسنة الشطط في العداء حداً جعلهم يلحقون بهم إلى بلاد الروم عندما استقر الأمر للمسلمين[11]، وذلك تعصباً لدينهم لأن القومية في بداية الإسلام كانت تقوم على التراث الحضاري لا على الموقع الجغرافي والمصلحة الإقتصادية، فكان المصري يعتبر نفسه مسيحياً أو مسلماً أو أرثوذكسياً ولا يعد نفسه مصرياً.

ولكنهم عندما لمسوا حسن معاملة المسلمين لهم مقارنة بمعاملة الروم، مالوا للخضوع لهم واستبشروا بوجودهم، وخاصة المسيحيين السريان والأقباط والأرمن من

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

المعادين للكنيسة الأرثوذكسية الملكية وذلك لاضطهاد الملكانيين لهم حتى قيل أن البيزنطيين قتلوا حوالي ألف قبطي من أنصار الطبيعة الواحدة اليعاقبة قبيل الفتح الإسلامي، وأن المسلمين الفاتحين وجدوا الاكليروس القبطي مختبئاً في الصحاري[12]. لذلك غير المسيحيون المذكورون رأيهم في الإسلام والمسلمين، واعتبروا انتصارهم على الروم انتقاماً من السماء من أشياع الكنيسة الملكية ودولتهم. يقول فيليب حتى أن السريان نظروا للإسلام على أنه طائفة مسيحية جديدة أكثر من أنه دين جديد، فكانت خصومتهم بوجه الإسلام من قبيل المنافسة أكثر منها من قبيل التعارض في المبادئ[13].

ولقد غالى بعض المستشرقين في ذلك لدرجة أنهم جعلوا الإسلام وريثاً للنصرانية السريانية، حيث اعتبر يوحنا الدمشقي محمداً ﷺ هرطوقياً لا مؤسساً لدين جديد، وخلط بين الإسلام والأريوسية[14]. لقد عبر البطريك السرياني ميخائيل عن سروره لنجاح الفتح الإسلامي قائلاً: "لأن الله قد رأى ما كان يقترفه الروم من أعمال الشر من نهب كنائسنا وأديرتنا وتعذيبنا بدون رحمة، حتى أتى من مناطق الجنوب ببني عمنا إسماعيل لتحريرنا من نير (الروم). وهكذا كان خلاصنا على أيديهم من ظلم الروم وشرورهم وحقدهم واضطهادهم وفظائعهم نحونا، وهذا الخلاص لم يكن ميزة هينة لنا"[15]. وعبر بطريرك آخر عن إعجابه بالمسلمين الفاتحين قائلاً: "إن العرب الذين أولاهم الله السلطة على العالم في هذا العهد – كما تعلمون – يقيمون بيننا ولا يتخذون من النصرانية موقف عداء، بل هم على العكس من ذلك يمتدحون ديننا ويجلون الكهنة والقديسين ويجودون بالتقدمات للكنائس والمناسك[16].

وقد لاقى السريان معاملة خاصة من قبل المسلمين، وسموا العهد العمري بالعهد الذهبي، وساهموا مع المسلمين ضد الحركة الصليبية، وبلغ الأمر بالفاطميين فيما بعد أن أجلوا معهم السريان إلى القاهرة عندما احتل الصليبيون القدس، فقام الصليبيون بالإستيلاء على أماكن السريان المقدسة في القدس، ثم أعادوها فيما بعد عندما سمحوا لهم بالعودة[17]. كما عبر النساطرة عن مثل هذا السرور بالفتح الإسلامي، حيث روى رنسيمان عن مؤرخ نسطوري مجهول قوله " إن قلوب المسيحيين انشرحت لسيادة

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

العرب، فليزد الله في قوة هذه السيادة ويجعلها زاهرة"[18]. أما الأرمن فقد إعتبروا الفتح الإسلامي والعهد العربي الإسلامي عهد سعادة لهم، لأنه أنقذهم مما كان بين العرب وبين البيزنطيين من تنازع، وخلصهم من تدخل الكنيسة البيزنطية في شؤونهم. وفي ظل الحكم العربي تأسست البطريركية الأرمنية وزادت كنائسهم وأديرتهم حتى بلغت السبعين[19].

الفتح الإسلامي للقدس

تعتبر القدس ثالث المدن الإسلامية أهمية بعد مكة والمدينة، وهي مباركة ومقدسة بنصوص كثيرة من آيات القرآن الكريم[20] والأحاديث الشريفة[21] حيث أنها هي وما حولها أرض الإسراء والمعراج، التي تشد إليها الرحال، ويضاعف فيها أجر الصلاة، وهي مقر الأنبياء، لذلك فقد قدسها المسلمون ومنحوها اهتماماً ورعاية خاصة، وأقاموا فيها بقصد التشرف بالموت في أرضها، وأهلوا منها بالحج والعمرة، وبنوا فيها المساجد والمدارس والزوايا والتكايا، وخصوها بالأوقاف ورعوا الأماكن الإسلامية فيها دونما إهمال أو إلحاق أي أذى بالأماكن المسيحية المقدسة.

ولقد اختلفت الروايات التاريخية الإسلامية حول العام الذي فتحت فيه القدس، وحول حضور عمر بن الخطاب إليها ودخوله إليها. أما بخصوص تاريخ فتحها فكثير من المصادر تفيد أنها فتحت عام 15هـ بعد معركة اليرموك[22] وقبيل عام 16هـ[23] وعام 17هـ[24]. وقد رجح عبد العزيز الدوري أن يكون الفتح عام 17هـ خلافاً للشائع[25]. أما فيما يتعلق سبب حضور عمر بن الخطاب إلى الشام ودخوله إلى مدينة القدس، فقد رويت روايات متعددة حول ذلك. فذكر الطبري عن سيف أن الذي حاصر القدس هو عمرو بن العاص بعد انتصاره على الروم في أجنادين، ثم طلب عمرو من عمر بن الخطاب المدد فأقبل عمر للجابية ودعا إليها الأمراء، وجاءه هناك وفد إيلياء سنة 16هـ وصالحوه على الجزية[26]. وذكر البلاذري أن أبا عبيدة قدم إيلياء أثناء حصار عمرو بن العاص لها، فطلب منه أهلها الإستسلام للخليفة، فكتب أبو عبيدة إليه فجاء

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

ونزل الجابية، ثم سار إيلياء سنة 17هـ وصالح أهلها[27]. وأيد هذه الرواية اليعقوبي، وأفاد بأن عمر بن الخطاب حضر للجابية، وأن الذي فتح القدس هو أبو عبيدة[28]. ويقول بعض المؤرخون المحدثين أن الإصرار على أن عمر بن الخطاب لم يحضر خصيصاً لفتح القدس هو محاولة من قبل العراقيين والشيعة وأهل المدينة للإقلال من شأنها إغاظة بالأمويين. ومع أن عبدالعزيز الدوري أيد هذا الرأي[29]، فإن الأزدري[30]، وابن أعثم[31]، ومعظم الروايات الشامية الإسلامية والروايات المسيحية تجعل فتحها على يد عمر بن الخطاب.

وسواء كان حضور الخليفة لإستلامها أو لزيارتها بعد أن كتب لأهلها صلحاً في الجابية، فإن شكله المتواضع من ملبس ومركب، وحسن معاملته لصفرونيوس بطريك المدينة وحاشيته واستقباله اللطيف لهم وتطمينهم على أنفسهم وكنائسهم وأموالهم أكسبه إعجاب أهلها. وقد عبر صفرونيوس عن ذلك مخاطباً عمر بن الخطاب "إن دولتكم باقية على الدهر، فدولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة"[32]. وقد عبر أحد أفراد حاشية صفرونيوس عن إعجابه بسلوك عمر قائلاً "ما رأيتا أحداً أشبه بما وصف به الحواريون بعد هذا الرجل"[33] .

عمر بن الخطاب في القدس

مناقشة العهدة العمرية

العهدة العمرية هي ذلك الصك الذي صالح بموجبه عمر بن الخطاب أهل إيلياء (القدس) سواء أعطى لوفد القدس في الجابية أو للبطريك صفرونيوس على جبل الزيتون[34]. وقد اختلفت الروايات حول نصوصه زيادة ونقصاناً، فجاء على شكل صيغ مختلفة، أورد بعضها: أورد اليعقوبي[35] نصاً مختصراً لهذا العهد جاء فيه "هذا كتاب كتبه عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس، أنكم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم لا تُسكن ولا تُخرب إلا أن تحدثوا حدثاً عاماً. واستشهد شهوداً[36]. أما مجير الدين العليمي[37] فاعتمد نصاً طويلاً عن سيف عن أبي حارثة عن خالد وعبادة،

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

وجعل مكانه المصالحة الجابية، ولم ترد فيه عبارة "كتب وحضر سنة 15هـ". كما أورد مجير الدين العليمي عن عبدالرحمن بن تميم صيغة أخرى هي رسالة وجهها نصارى القدس لعمر بن الخطاب ووضعوا فيها شروطاً لأنفسهم[38]. وأيد الطبري في رواية عن سيف أن الخليفة كتب لكل كور فلسطين كتاباً واحداً ما خلا إيلياء فكتب لها كتاباً خاصاً ذكر فيه أنه أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وأن على أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن. وأورد بعض التحفظات مثل لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم. ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود[39]. ويعلق الدوري على ذلك بأن التحفظات الأخيرة الواردة فيه تدعو للشك لأنه لا يوجد في الروايات الأولى مثل هذه التحفظات[40]، ويضيف "لم يخل الأمر من إدعاءات يهودية. فبالإضافة للإسرائيليات، تدعي رواية يهودية أن اليهود طلبوا من عمر السماح لمائتي عائلة يهودية من مصر بالسكن في القدس ولكن معارضة البطريك جعلت الخليفة يسمح لسبعين عائلة فقط بالسكن، وأنه أعطاهم حياً جنوب الحرم. وهذا ادعاء لا أساس له. ولا ننسى أن مصر لم تفتح إلا بعد أربع سنوات"[41].

وأورد إبن الجوزي نصاً وسطاً ليس فيه توسيع سيف والإستثناءات، هذا نصه: "إني أمنتكم على دمائكم وذراريكم وصلاتكم وبيعكم لا تكلفون فوق طاقتكم، ومن أراد أن يلحق لامته فله الأمان، وإن عليكم الخراج كما على مدائن فلسطين"[42].

هذا ويبدو أن أهمية القدس بالنسبة للنصارى كانت وراء ما سمي بالعهد العمري، والذي توسعت نصوصه وتضمنت شروطاً لا صلة لها بزمن الفتح، وعالجت أموراً ظهرت متأخرة، مما يدعو للإعتقاد بأن نصوص العهد العمري تطورت لتعبر عن صيغ فقهية وضعت لتنظيم أوضاع تالية[43]. وآخر هذه النصوص النص المعتمد حالياً لدى كنيسة القدس الأورشليمية الذي نشرته البطريركية في كانون الثاني عام 1953م، قالوا أنه نسخة عن الأصل المحفوظ في كنيسة الروم بالفنار من أعمال استانبول والذي تدل الشواهد أنه وضع حديثاً.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

ويتكر فيليب حتى[44] وجود العهد العمري بجميع صيغه، اعتماداً على أن أحداً لم يعلم بما دار في مؤتمر الجابية وما اتخذ من قرارات معتمداً في ذلك على رأي ترتون[45]. وعلى اختلاف الروايات في نصوص العهد وأن ما ورد فيها اشتمل على أحكام وجدت في عصور تالية، حيث لا يعقل أن عمر وضع أحكاماً لحالات لم تكن قد برزت.

معاملة عمر بن الخطاب لأهل القدس

بكى عمر بن الخطاب عندما وصف له أبو عبيدة ما أصاب القدس والمسلمين من الحصار والبرد ونهى المسلمين عن أي مساس بأهل المدينة أو أموالهم، وعوض على بعض النصارى من أصحاب الكروم الذين أكل المسلمون ثمار العنب في كرومهم. وبعد أن وقع عهد الأمان المعروف بالعهدة العمرية -حسب بعض الروايات- دخل عمر بن الخطاب القدس وبرفقته البطريرك صفرونيوس وحاشيته والقادة المسلمين وحوالي أربعة آلاف من الجنود، لا يحملون إلا السيوف في أغمادها خوفاً من الغدر، وترك بقية الجيش في الخارج حتى لا يزحموا أهل المدينة بسبب ضيق طرقاتها.

بدأ الخليفة بزيارة كنيسة القيامة، ورفض أن يصلي فيها عندما حانت صلاة العصر، وصلى قريباً منها وقال للبطريك: "أيها الشيخ لو أنني أقمت الصلاة في كنيسة القيامة لوضع المسلمون أيديهم عليها بحجة إقامتي الصلاة بها، أني لآبى أن أمهد السبيل لحرمانهم منها وأنتم بها أحق وأولى"[46] وقد سلمه صفرونيوس مفاتيح كنيسة القيامة فسلمها الخليفة بدوره إلى عبدالله بن نسيبه[47]. وقد أبقى عمر النصارى على حالهم بأداء الجزية، ثم طاف مع البطريرك في أنحاء المدينة باحثاً عن المكان الذي أسرى بالرسولﷺ إليه حيث عرج به منه إلى السماء، والذي كان قد وصفه لأصحابه، وقد تعرف عمر على المكان وهو المسمى لدى النصارى بمنطقة الهيكل فدخله من باب محمد، وكان قد كاد أن يغلق لكثرة الزبالة في داخله، فكشف الخليفة والمسلمون الأوساخ عن الصخرة[48]. وقام ببناء مسجد أمامها إلى الجنوب الشرقي من الساحة. وقد بناه من بقايا أخشاب وأعمدة على شكل حائط غير مسقوف. ثم قام الخليفة

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

بزيارة الأسواق التي كانت لا تزال خربة بعد الغزو الفارسي للمدينة، واختار للمسلمين سوقاً وسطاً بين سوق البزازين وسوق حمام الشرق، ثم عين قاضياً للمدينة يحقق في الشكاوي، وأسس حسبة لمراقبة الميازين والمكاييل ولمنع الغش وتنظيف الكنف والأزقة والرفق بالحيوان، وحض المسلمين على ممارسة التجارة[49] وعين سلامة بن قيصر على الصلاة، ويزيد بن أبي سفيان والياً للمدينة على أن يكون تابعاً لأبي عبيدة.

مكان المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب

قال كرزويل إن احتلال تيطس لأورشليم سنة 70م أدى لتخريب الأماكن التي كانت في منطقة الهيكل وكذلك الأسوار الضخمة التي بناها هيرودس، كما أن قضاء هدريانوس على اليهود الذين ثاروا بقيادة بارقوبا سنة 135م قد زاد المدينة خراباً[50]. وظلت منطقة الهيكل مهجورة طوال العهد المسيحي، حيث ذكر ابن البطريق أن المسيحيين لم يبنوا في المنطقة لأنهم يعتقدون أنها منطقة لعنها المسيح[51]. وزاد هذا الخراب عام 614م قبيل الفتح الإسلامي عندما احتلها الفرس وأخذوا صليب الصلبوت، وساعدهم اليهود في تخريبها بحماس شديد حيث تجمعوا من كافة الأنحاء وشاركوا في هدم المدينة وقتلوا ما لا يقل عن سبعين ألفاً من المسيحيين وغيرهم، وأخذوا صليب الصلبوت حتى استعاده هرقل بعد هزيمته للفرس عام 627م وانتقامه من اليهود، بحيث أنه لما فتح عمر بن الخطاب المدينة 637م لم يكن أحد من اليهود، كما لم يكن لهم بها أي مكان مقدس[52].

وقال كروزيل "أن المسجد الذي بناه عمر كان مكان المسجد الأقصى الحالي، وأنه كان من خشب". ولم يستطع تحديد تاريخ بنائه: هل كان سنة 18هـ أم سنة 20هـ. ورجح لي سترانج (Guy le Strange) أنه بنى سنة 14هـ 635م[53]، وهذا مخالف لأغلبية آراء المؤرخين حول تاريخ فتح القدس حيث تؤكد أنه تم بعد 14هـ. وذكر مجير الدين العليمي أن بقايا المسجد الذي بناه عمر لا تزال قائمة بداخل المسجد الأقصى من جهة الشرق وبه محراب يقال له جامع عمر[54].

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

وأول من أثبت وجود هذا المسجد هو الحاج المسيحي المسمى اركولف Arculf الذي زار القدس عام 670م في عهد الدولة الأموية، ووصف البناء المذكور على أنه مقام من بقايا أعمده وأخشاب وأنه غير مسقوف، ويتسع لحوالي ثلاثة آلاف شخص[55] وهو بجوار الحائط من الشرق[56]. كما وردت إشارات لهذا المسجد لدى المؤرخ البيزنطي تيوفانوس (759 – 818) وأيده في ذلك ريتشارد هارتمان الذي ذكر أن المسجد الذي بناه عمر غرب الصخرة أو إلى جنوبها الغربي[57]. وقد أغفلت بعض المصادر العربية الإشارة لهذا المسجد عندما وصفوا المسجد الأقصى في أيامه الأولى. كاليعقوبي المتوفي 874م، وابن الفقيه المتوفي 903م، ولكن الأزدي ذكر أن عمر خط بالقدس محراباً من جهة الشرق وهو موضع مسجده[58]. كما ورد نفس القول في فتوح الشام المنسوب للواقدي، وذكر ذلك ميخائيل السوري[59]، وابن البطريق[60].

تفنيد الإدعاء بأن المسجد الأقصى أقيم على أنقاض كنيسة

زعم بعض المؤرخين الغربيين أنه كانت هنالك كنيسة في المكان الذي أقيم عليه المسجد الأقصى، وأنها من بناء الإمبراطور جوستنيان سنة 543م وأنها كانت تدعى "كنيسة العذراء الجديدة" للتفريق بينها وبين كنيسة العذراء التي بنيت قبل ذلك التاريخ[61]. وادعى هؤلاء أنها من تصميم المهندس تيودوروس، ووصلت المبالغة عند بعضهم إلى الحد الذي زعم فيه أن المسجد الأقصى هو الكنيسة بلا زيادة أو نقصان ومنهم الدكتور ريتشارد روبنسون[62]، إدوارد هوغ[63]، إدوارد روبنسون، وجورج وليام[64] وبلاكبورن[65] ولي سترانج (Guy le Strange)[66] الذي يقول "أن من يزور الحرم القدسي يرى بقايا كنيسة جوستنيان في البناء الواقع تحت الأرض عند الزاوية الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى الحالي" كما يقول بروقوبيوس[67] "إن تلك الكنيسة بنيت عام 560م وأحرقها الفرس عام 614م". هذا وقد أثبت التنقيب الذي جرى على أساسات المسجد أنه لا توجد أية أنقاض لأي بناء قبل بناء المسجد[68]، مما يؤكد وجهة النظر القائلة بأنه لم تكن هنالك أية كنيسة والتي قال بها ابن البطريق الذي ذكر أن الروم لم

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

يعظموا الموضع الذي كان يقوم عليه الهيكل ولم يبنوا عليه كنيسة تنفيذاً لما ورد في الإنجيل على لسان السيد المسيح "هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً" وقوله "لا يبقى هنا حجر على حجر إلا أن يهدم ويخرب" وأيد ابن البطريق في ذلك طوبلر ورايس[69].

كما ذكر كروزيل بأنه لم يكن في منطقة الهيكل عند الفتح العمري أي بناء وأن المنطقة كانت مهجورة، واستنتج من إطلاعه على ما كتبه المؤرخان المعاصران لفترة بناء تلك الكنيسة وهما بروقوبيوس وسيريل اسوكيتوبولس أن الكنيسة كانت على السفح الشرقي لجبل صهيون فوق الأرض المرتفعة المطلة على وادي التروبيون، حيث قال هذان المؤرخان بأن الكنيسة بنيت على أعلى هضبة من هضاب القدس، وأن البناءين اضطروا أن يبنوا مباني أرضية كبيرة من الناحية الشرقية ليمهدوا الأرض التي بنيت عليها الكنيسة. والمعروف أن جبل صهيون أعلى من جبل موريا الذي عليه المسجد الأقصى. كما أنهما ذكرا بأن الكنيسة كانت تمتد من الغرب إلى الشرق مع أن المسجد يمتد من الشمال إلى الجنوب[70]. أما المؤرخ جيمس فرغسون فذكر بأن المسجد ليس كنيسة جوستنيان ولم يبن في الموضع الذي كانت تقوم عليه الكنيسة حيث أنه لا القناطر ولا العقود التي تحمل المسجد والأعمدة والتيجان التي فوقها من النوع الذي كان معروفاً في عهد جوستان، كما أن بناء المسجد لا يشبه أي كنيسة من الكنائس المبنية في ذلك العهد. فلم تكن لآية كنيسة في تلك الفترة قبة كقبة المسجد الأقصى. كما أن جوستنيان كان معروفاً بالزهد، ولم يكن ليبني كنيسة في المكان الذي يقوم عليه الهيكل.

---

1 سورة الأنبياء آية 107

2 سورة الحجرات آية 13

3 سورة البروج آية 4-7

4 بدران أبو العينين، العلاقات الإجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية واليهودية والمسيحية والقانون (بيروت 1975م)، ص22

5 سعيد بن إبراهيم أبو يوسف، كتاب الخراج (القاهرة، 1346هـ)، ص71

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

6 محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح (القاهرة، 1314هـ) الجزء 4، ص119–120

7 يحيى بن آدم بن سليمان القرشي، كتاب الخراج، (صححه وشرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر)، ص45

8 أبويوسف، كتاب الخراج، ص71

9 فيليب حتى، تاريخ العرب المطول (ترجمة محمد مبروك نافع)، (بيروت، 1957م)، الجزء 1، صفحة197

10 أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك (تحقيق أبو الفضل إبراهيم)، (القاهرة، 1960–1969م)، الجزء 1، ص3081

11 المرجع السابق

12 س.ب. فكتور، المستقبل، عدد 1968/8م، ص24

13 فيليب حتى، تاريخ العرب المطول، ص134

14 E. Carl, and H. Becker, *Islamic Studies*, Lepzig, vol. 1, 1924, p. 6-18

15 ستيفن رنسمان، تاريخ الحروب الصليبية، (ترجمة السيد الباز العريني)، (بيروت، 1967م).

16 فيليب حتى، تاريخ العرب المطول، الجزء 2، ص 143

17 فليب دي طرازي، السلالسل التاريخية في اسقفيات الإبرشيات السريانية (بيروت، 1966م)، ص10

18 ستيفن رنسمان، تاريخ الحروب الصليبية، الجزء 1، ص39

19 فليب دي طرازي، السلالسل التاريخية في اسقفيات الإبرشيات السريانية، ص98

20 ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ...﴾ (الإسراء:1)، ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (التين:1-3)

21 "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى"، صحيح مسلم، الجزء 2، رقم415

22 أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان (نشر صلاح المنجدي، القاهرة، 1956م)، ص259. أبو محمد عبدالله بن عمر الواقدي، فتوح الشام (عمان، 1975م)، الطبعة الثانية، الجزء 1، ص17. ورواية سيف في أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، الجزء 1، ص2405

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

23 محمد بن سعد بن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت، 1957م)، الجزء 3، ص 203. أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، تاريخ ابن واضح (النجف، 1358هـ)، الجزء 2، ص167. وابن علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر ، تاريخ دمشق وأخبارها وأخبار من حلها أو وردها، التاريخ الكبير (رتبه وصححه عبدالقادر بدران)، (دمشق، 1329-1332هـ)، الجزء 1، ص553. أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، الجزء 1، ص2408. ورواية أخرى عن سيف

24 ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، معجم البلدان (بيروت، 1955م)، الجزء 5، ص598-599. أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، ق2، ج2، ص594

25 عبدالعزيز الدوري، بحث بعنوان "فكرة القدس في الإسلام"، مقدم للمؤتمر التاريخي الثالث لبلاد الشام (فلسطين) الجامعة الأردنية 1980م، ص3

26 أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج1، ص2397، 2402، 2404، 2408

27 أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، ص 138-139. أبوجعفر محمد بن جرير الطبري. تاريخ الرسل والملوك، الجزء 1، ص 2402-2405

28 أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، تاريخ إبن واضح، ج2، ص160-161

29 عبدالعزيز الدوري، "فكرة القدس في الإسلام"، ص8

30 محمد بن عبدالله الأزدي، فتوح الشام (كالكتا، 1854م)، ص242-245

31 إبن أعثم، الفتوح (دار الكتب العلمية، 1986م)، الطبعة 1، ص289، 251، 292

32 إبن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (القاهرة، 1951م)، ج1، ص28،

33 إبن عساكر ، تاريخ دمشق.

34 إبن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج1 ص28

35 أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، تاريخ إبن واضح، ج2، ص46

36 مجير الدين العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (عمان، 1977م)، ج1، ص253

37 المرجع السابق، ص254

38 أيد اليعقوبي في هذا النص الأزدي، أنظر أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، بتاريخ إبن واضح، ص25، أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، ص139، إبن أعثم، الفتوح، ص291، أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج1 1404، كما أورد افثيسيوس

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

الإسكندري (إبن البطريق) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق (بيروت، 1904م)، باب التاريخ، ج2، ص16 صيغة تشبه نص اليعقوبي "بسم الله الرحمن الرحيم: من عمر بن الخطاب لأهل إيلياء، إنهم آمنون على دمائهم وأولادهم وأموالهم وكنائسهم لا تهدم ولا تسكن، وأشهد شهوداً". وأنظر الشيخ المسكين جرجس بن العميد إبن إلياس، تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد إلى الدولة الأتايكية" (ليون، 1925م)

39 أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج1، ص2405-2406

40 عبدالعزيز الدوري، "فكرة القدس في الإسلام"، ص 10

41 المرجع السابق. طوال العهد الراشدي لم يسكن القدس أحد من اليهود بل سكنها المسلمون والنصارى من العرب. وطوال سبعين سنة من العهد الأموي لم يتواجد بها من اليهود سوى عشرين رجلاً من الذكور كانوا يعملون في خدمة مظاهر المسجد الأقصى، ثم بدأوا يتسللون للمنطقة واعتنق بعضهم الإسلام لتحقيق أهدافهم -إبراهيم الشريقي، إبراهيم وأرض كنعان، ص194- وظل الأمر كذلك حتى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري حيث زارها عام 870 برنارد الحكيم وذكر أن المسيحيين والمسلمين في القدس ومصر على تفاهم تام و لم يشر لليهود، وهذا دليل على عدم وجودهم -الشريقي ص203-

42 أبو الفرج إبن الجوزي، فضائل القدس (تحقيق جبرائيل جبور)، (دار الآفاق الجديدة، بيروت 1980م)، ص 123-124

43 عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس (القدس، 1961م)، ص91-92

44 فيليب حتى، تاريخ العرب المطول، الجزء 3، ص 19-20

45 A.S. Tritton, *The Caliphs and their Non Muslims Subject* (Oxford, 1930), p. 12

46 خليل طوطح وبولص شحادة، تاريخ القدس ودليلها (القدس)، ص20-32

47 هو أحد الأنصار الذين اشتركوا في الفتح، وهو إبن إمرأة من الخزرج تدعى نسيبة، وكان رجلاً صالحاً. وظلت المفاتيح معه ومع نسله حتى وقع الإحتلال الصليبي، فغادر القدس إلى قرية بورين و لم يعودوا بعد الفتح الصلاحي مباشرة، أنظر عارف العارف، المسيحية في القدس، (القدس، 1951)، ص239. ولا يزال آل نسيبة من عائلات القدس المشهورة، وقيل عادوا مع فتح صلاح الدين لها وأنه سلمهم مفاتيحها ولا زالت معهم حتى الآن

48 مجير الدين العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص255-256

49 عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص94

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

50 K. A. C. Creswell, *Early Muslim Archiecture, Ummayyads: 622-750* (Oxford, 1940), p.11

51 أنظر في هذا: انجيل متى 2:34 وانجيل لوقا 14:9، افتيسيوس الإسكندري (إبن البطريق) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، نظم الجوهر، ج2، ص 170

52 القدس في التاريخ، مقالة لولكنسون ذكر أنها مبنية على دراسات يهودية حديثة.

53 Guy le Strange, *Palestine Under the Muslims* (London, 1980) , p. 91
لى سترانج، فلسطين في العهد الإسلامي، (ترجمة محمود العابدي)، (عمان، 1970م)

54 مجير الدين العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص36.

55 سليمان الموسى، رحلات في الأردن وفلسطين ترجمات ودراسات (طبعة دار عمار ودار إبن رشد، 1984م)، ص14. وهذا يعني أن عدد العرب المصلين كان حوالي ثلاثة آلاف وأن مجموع عددهم كان حوالي تسعة آلاف، ويقول عبد العزيز الدوري في مقالته "العرب والأرض في بلاد الشام"، المؤتمر الأول لبلاد الشام 1974م، ص25-26 أن هذا ليس مستغرباً لأن قبيلتي لخم وجذام النصرانيتين كانتا تسكنان فلسطين قبل الفتح الإسلامي

56 Palestine Pilgrims Texts Society vol.III New York, 1971 p.4-5

57 Guy le Strange, *Palestine Under the Muslims*, p.991

58 محمد بن عبدا لله الأزدي، فتوح الشام، ص259

59 Coronique II, p.4-23

60 افتيسيوس الإسكندري (إبن البطريق) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، الجزء 2، ص18

61 مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين (بيروت، 1975م)، ج 9، قسم 2، ص 119، وانظر شفيق جاسر، تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها حتى الحروب الصليبية)، (عمان، 1984م)، ص 102 وما بعدها

62 R. Robeinson, *Travels along the Mediterranean II*, p. 300-305

63 E. Hogg, *Visit to Alexandria, Damuscus and Jerusalem II*, p. 289

64 G. Williams, *Holy City*, p. 205

65 A. Blackburn, *Handbook round Jerusalem*, p. 120

66 Le Strange, *Palestine Under the Muslims*, p. 90

67 مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 9، ص 119

68 الأب مرمرجي الدمنيكاني، بلداتية فلسطين (القدس، بدون تاريخ)، ص246

69 المرجع السابق، ص246

70 K.A.C Crewel, *Early Muslem Architecture*, pp. 23-24

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org